

الدلالات الرمزية للجمال في الشعر الأمازيغي شعر معطوب الوئاس أنموذجا

فروق يعلى^{1*}

¹ جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

Faroukyala266@gmail.com

النشر: 2021/03/10

القبول: 2021/02/11

الإرسال: 2019/11/09

الملخص: احتلت الجبال مكانة خاصة في الشعر الأمازيغي في الجزائر، لارتباطها ارتباطا وثيقا بالحياة الاجتماعية والأوضاع السوسيو-تاريخية التي يعيشها المجتمع الجبلي، لذا نجد موضوعاته غنية جدا بالحديث عن الجبال والمجتمع الجبلي. ويعدُّ الفنان الراحل "معطوب الوئاس" أحد رموز هذا الشعر لما يحتوي شعره من قيم مختلفة ارتبطت أساسا بالحياة اليومية للمواطن، فقد أولى أهمية بالغة للجمال في شعره فبعد تحليل مضمون (224) قصيدة جاءت في (28) ألبوما سُجِّلَت في (34) أسطوانة ألفها الشاعر من سنة 1978م إلى غاية 1998م، تبين أن الجبال ذُكرت في (43) موضع ضمن (27) قصيدة منها (09) قصائد عناوينها حول الجبال. فكانت تمثِّل له رمزا للشموخ والكفاح والثورة والتاريخ، ويستعملها تارة أخرى كاستعارة عن سكانها، وأخرى لترمز للعادات والتقاليد، اللغة والهوية الأمازيغية.

الكلمات المفتاح: الجبل ؛ الجبال ؛ الشعر الأمازيغي ؛ معطوب الوئاس.

*المؤلف المرسِل.

Symbolic connotations of the mountain in Amazigh poetry

poetry Matoub Lounnes a model

Abstract: The mountains occupied a special place in Amazigh poetry in Algeria due to its close link with social life and the socio-historical conditions experienced by the mountain community, so we find its subjects very rich when speaking of the mountains and the mountain community.

The late artist "Matoub Lounas" is considered one of the symbols of this poetry because of the various values contained in his poetry which are mainly linked to the daily life of the citizen, He attached great importance to the mountains in his poetry, after having analyzed the content of (224) poems from (28) albums recorded in (34) cylinders composed by the poet from 1978 to 1998, it was found that mountains were mentioned at (43) position in (27) poems included (09) poems titled on the mountains.

The sometimes represented it as a symbol of glory, struggle, revolution and history, and at other times he used it as a metaphor for its people and at other times to symbolize customs, traditions, Amazigh language and identity.

Key words: Mountain; Mountains; Amazigh poetry; Matoub Lounas.

1- مقدمة: شكّلت الجبال وسكانها موضوعا خصباً للشعر عبر العالم، واحتلت مكانة خاصة لدى الشعراء الذين ترعرعوا في تلك المناطق، وأصبحت تُغذّي به المناخات الثقافية العامة المهيمنة على الأجواء الشفوية لسكانها.

ويعتبر الشعر الأمازيغي في الجزائر مثالا للشعر الذي ارتبط ارتباطا وثيقا بالحياة الاجتماعية والأوضاع السوسيو-تاريخية التي يعيشها المجتمع الجبلي ، وحاملا لإرثه الثقافي وناقلا للغة والهوية منذ الأزمنة الغابرة ، لذا نجد موضوعاته غنية جدا بالحديث عن الجبال والمجتمع الجبلي.

ويعدُّ الفنان الراحل "معطوب الوناس" أحد رموز هذا الشعر لما يتضمنه شعره من قيم مختلفة ؛ ولارتباطه أساسا بالحياة اليومية للمواطن ، فقد أولى أهمية بالغة للجبال في شعره ، فكانت تمثل بالنسبة له رمزا للشموخ والكفاح والثورة والتاريخ تارة ، ويستعملها تارة أخرى كاستعارة عن سكانها ، وأخرى لترمز للعادات والتقاليد واللغة والهوية الأمازيغية.

وعليه سنحاول في هذه الدراسة الوقوف عند المعاني والدلالات التي جاءت فيها الجبال في الشعر الأمازيغي من خلال تحليل مضمون لـ (28) ألبوما ، تحتوي على (224) قصيدة للشاعر والمطرب الراحل معطوب الوناس ، ألفت بين سنتي 1978م و1998م ، محاولين الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما هو حجم ظهور الجبال في شعر معطوب الوناس ؟
- وكيف استعمل الجبال في قصائده ؟
- وما هي المعاني والدلالات التي منحها للجبال في شعره ؟
- وما هي الموضوعات التي تشير إليها الجبال في شعره ؟

2- الشعر الأمازيغي:

2-1- مراحل تطوّر الشعر الأمازيغي:

يُعتبر الشعر الأمازيغي من أهم الأساليب التي تترجم انشغالات واهتمامات المجتمع الأمازيغي ، فهو حاملا لعاداته وتقاليد وحماسه وقيمه ومبادئه ، لذا نجده مرتبطا بالحياة الاجتماعية لهذا المجتمع الذي تُهيمن عليه الأجواء الشفوية ، وتعدُّ الظاهرة الشعرية من أهم المظاهر في منطقة القبائل منذ الأزل ، ومن خلال تلك الأشعار حققت اللغة الأمازيغية الاستمرارية ، فأشعار منطقة القبائل تخبرنا بمأساة نفي الآلاف من الجزائريين وكذا عن معارك حرب التحرير ، وعن الفقر والممارسة الدينية ، وشرف القرى وغيرها من القضايا التي ترجمت

مقاومة سكان الأمازيغ¹ ، ويقسم² "عبد السلام عبد التّور" المراحل التي مر بها الشعر الأمازيغي إلى خمس مراحل وهي:

2-1-1- المرحلة الأولى: وتمثّل فترة ما قبل احتلال الاستعمار الفرنسي لمنطقة القبائل وكان الشعر آنذاك يصوّر لنا مختلف الصّراعات التي حدثت بين الأجناس الأجنبية والجنس الأصلي ، وهي الفترة ما بين 1830م و1857م حيث إن الاستعمار انتشر في كل أنحاء الجزائر مستوليا على سهولها وسواحلها ما عدا منطقة القبائل ، فهذه الظروف أتاحت للشعراء فرص التغيّ بالوطن وبالأمة وأشهرهم: يوسف أوقاسي الذي يُقال أنه أنتج أكثر من أربعة دواوين.

2-1-2- المرحلة الثانية: تبدأ بين 1857م و1871م أي بداية دخول الاستعمار إلى منطقة القبائل منذ 1857م وبداية المقاومات الشعبية في 1871م على أيدي الشّيوخين الحدّاد والمقراني ، ومن أشهر الشعراء في تلك الفترة نجد: حاج محند أو عاشور ، محمد العربي إكعبيشان ، إسماعيل إزيكو ، وسي محند أومحمد ، والشيخ محند أو الحسين وغيرهم ممن ألّفوا شعر المقاومة.

2-1-3- المرحلة الثالثة: تبدأ من 1871م إلى 1914م حيث انتهت عند اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وقد ظهرت نتيجة لتدهور الشعر وضعفه في المرحلة الأولى ، فتميّزت هذه المرحلة بإحياء الشعر والتّهوض به سياسيًا وحرّبيًا ، غير أن أيدي العدو منعتهم من ذلك ومن أشهر الشعراء نجد: الشّيوخ محند أو الحسين ، سي محند أومحمد ، يوسف أولفقي ، وبشير أملاح وغيرهم ، ويقتصر شعرهم على المدائح الدّينية والأذكار التعلّيمية والتربويّة.

2-1-4- المرحلة الرابعة: تبدأ منذ بداية الحركة الوطنية عام 1945م إلى استقلال الجزائر وتميّزت هذه المرحلة بظهور شعر الثّورة والوطن والغربة والحرّية ، ومن أهم الشعراء نجد: فريد علي ، أكلي يحياتن ، شريف خدام وآيت مسلاين وغيرهم ، ويعد محند إيدير آيت عمران الذي كان طالبا في ثانوية ابن عكنون من الشعراء الأوائل الذين شقوا درب الإبداع للقصيدة الوطنيّة ، إذ تعد قصيدته "انهض يا ابن الأمازيغي -kkerammi-s n umaziy" التي ألّفها في جانفي 1945م أولى قصيدة نضالية تسجل في حقل الإنتاجات الشعريّة الأمازيغيّة ، أمّا مضمونها فقد امتاز بالإحساس بالانتماء إلى البعد الأمازيغي الأصيل وكذلك تنقل لنا الإحساسات الوطنيّة الداعية إلى تخليص الجزائر من أيدي المستعمر الفرنسي:

kker ammi-s n umaziɣ

انهض يا ابن الأمازيغ

kker ammi-s n umaziɣ

انهض يا ابن الأمازيغ

ittij-nney yulli-d

شمسنا اليوم قد سطعت

aṭṭas aya ur t-zriɣ

لم أشاهدها من زمان بعيد

tamurt n lezzayer ezizen

بلاد الجزائر الغالية

fell-am ad nefk iḍammen

من أجلك نقدم النفس قربانا

Igenni-m yeffey-it usigna

لقد انقشع السحاب من سمائك

ittij-im d lhuriya

والحرية أضحت شمسك

2-1-5- المرحلة الخامسة: وهي مرحلة الجزائر المستقلة التي امتازت بانتشار الشعر الذي

تناول القضية الأمازيغية ، وذلك من أجل إظهار الحقوق اللغوية والثقافية الأمازيغية في الجزائر المستقلة ، ومن هؤلاء الشعراء نذكر على وجه الخصوص: سليمان عازم ، شيخ الحسناوي ، لونيس آيت منقلات ، حميد شريط المدعو إدير ، مليكة دمران ، أحسن زرماني المدعو تكفاريناس ومعطوب الوناس وغيرهم الذين ناضلوا من أجل إحياء الثقافة الأمازيغية بأشعارهم التي هزت أركان تلك الممارسات التي كانت تلجأ إليها السلطات المتعاقبة على الحكم تجاه القضية الأمازيغية والكشف عن معالم الهوية الأمازيغية.

فقد توالى الممارسات السياسية القمعية وفرض الحصار على أي تحرّك أمازيغي من شأنه التذكير بالخصوصية التاريخية للأمة الجزائرية ، التي من المفروض أن تكون مصدرا للفخر والاعتزاز ، لكن استطاعت هذه السياسة بوسائلها المختلفة زرع أفكار مُضللة ضد القضية الأمازيغية والحكم عليها بالموت والفناء ، ومن هذه الأفكار تلك التي تقول " أن تكون أمازيغيا معناه أنك ضد الإسلام واللغة العربية " وأن تكون أمازيغيا معناه ضد الوطن والوطنية! ومعناه أنك شيوعي فرانكوفوني.

فالمجتمع الأمازيغي أحس بالخيانة وتولّد لديه الشعور بالإحباط وخيبة أمل في الأوساط الاجتماعية العريضة باعتبار هذه المنطقة ركيزة ومعقل الثورة والثوار ، وهو ما لخصه بلخير محند أكلي في قوله:³

asmi id d lɣirra

أثناء اندلاع الثورة

d imaziyen i iqublen	خاضها الأمازيغ
tmettaten tgelayen gar tregwa	واستشهدوا بين المجاري
d fransa teusen-iten	وجابهتهم فرنسا بالعداء
niqal nefreh dayen	وقد أبدينا فرحة ومسرة
feyen irumyen	لما انتصرنا على فرنسا
nyil ussan fukken	واعتقدنا أن أيام الشدة قد مضت
ziyen nekkni lxuf yiwen	وإذا بالخوف يستمر في أوساطنا

وفي هذه المرحلة نجد الشاعر معطوب الوئاس الشخصية الأكثر جدلا وشهرة بين أوساط الشباب الذين ذاع صيتهم سواء في الجزائر أو خارجها ، فقد اتسمت خطاباته الشعرية عموما بالعشوائية والتمرد الذي ظل يفضح ممارسات الحكم والسلطة من غير تردد ، فمن أشهر قصائده في هذا المجال نجد: "المفوض - Ikumisar" ، "الثورة - ttrad" ، "تاريخ البلاد - amezruy n tmurt" ، "الدرب المسدود - abrid ireglan" ، "أمي كيف كان مصيرك - ayemma amek i d amtedra".

2-2- أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل:

وتسمى أيضا فئات الشعراء المرسلين في المنطقة ، فبالعودة إلى مختلف الدراسات التي تناولت الحديث عن فئات الشعراء الممارسة للقول الشعري في البيئة الأمازيغية التقليدية كفئات مبدعة أو منشدة ، يتضح لنا ذلك التصنيف الوارد في طياته الالتباس والغموض ليلغ أحيانا حد التداخل والخلط ، غير أن هناك أربع فئات يتكرر ذكرها بشكل ملفت للانتباه في أغلب الدراسات وهي: إمداحن ، إضبالن ، إفصاحن ، أبراج.

2-2-1- إمداحن (Imeddaħen): فإمداحن هو جمع لـ "إمداح" وهو الشاعر الذي ينشد شعرا في مدح غيره من الشخصيات ذات القدر والسمو في المجتمع ، وقد أرجع "هانوطو" هذه التسمية لكون هؤلاء الشعراء أو إمداح ينشدون المدايح الدينية حول رجال الدين أو أبطال الحروب ، ويمجدون القبائل تهليلا بالانتصارات التي يحققونها ويتحسرون لها عند الهزائم بالإضافة إلى فضح المتخاذلين أمام واجباتهم نحو البلاد من خلال شعرهم الهجائي.

وهذه الفئة من الشعراء لهم دور مهم جدا في أوساط الشعوب الأمازيغية ، إذ أنهم يحظون بمكانة معتبرة في المجالس ، ويُستقبلون كنخبة مميّزة ، وعادة ما يجوبون عبر مختلف المناطق خاصّة في أوقات المحاصيل الموسميّة ، أين يُكافئون بأقساط من تلك المحاصيل عرفانا لهم بالجميل.⁴

2-2-2- إضبالن (Idtebbalen): إضبالن أو كما يعرف أيضا بـ"إفراحن iferraḥen"

وهي تسمية أطلقت على الصّنف الثّاني من شعراء الاحتراف وترتبط تسميتهم بالطبل والمزمار ، وهذه الأداة الموسيقيّة تصطبغ عادة بالزّرنة "الغيطة" لإحداث ثنائيّة الوقع الموسيقي الذي يحتاج إليه المنشد لأداء نشاطه الاحترافي ، أمّا في اللغة العربية جاءت من الطّبل حيث ينتقل هؤلاء رفقة فرقة موسيقيّة ، والكثير منهم يجيدون الرقص في الوقت ذاته .

2-2-3- أبراح (Aberraḥ): ويسمّى أيضا المرسل التّابع لسلطة "ثاجماث" فأبرّاح أو

البرّاح بالّلغة العربيّة مصداقيته مُستمدة من "ثاجماث" ، حيث يوضع تحت سلطة مباشرة لـ"مسؤول أو رئيس أو كبير القرية" فهو المكلف بإعلان يوم انعقاد الاجتماعات ، فكان يجوب شوارع وأزقة القرى والمدامر ، كما أنّه يقوم بالإعلان عن الوفاة وكذا مراسيم الدّفن والجنّازة ، وبالإعلان عن ثبوت رؤية هلال رمضان وشوال ومن مهامه أيضا إيقاظ النّاس من أجل تناول وجبة السّحور وغيرها.⁵

2-3-4- إفصيحن (Ifsiḥen): في نظر مولود معمري الأفصيح هو الذي يستطيع إنشاد

كمّا هائلا من الأشعار ويبدع باستمرار فهو يعيش عن طريق الممارسة الفكرية ، ويتحصّل على رزقه من القبيلة التي ينتمي إليها ويدافع عنها فهم يمثّلون المرجعيّة الفكرية والأخلاقية لأفراد المجتمع إذ أنّ عملهم الشّعري يُعدّ بمثابة رسالة شاملة تتناول القضايا والمسائل الاجتماعيّة البارزة وعادة ما تدعو الأفراد للتعاون والتكافل.

3- معطوب الوناس وحياة التمرّد:

ولد في 24 جانفي 1956م بقرية "توريرث موسى واعمر" التّابعة لبلدية آيت محمود دائرة بني دواله ، إحدى القرى الجبلية بولاية تيزي وزو ، فولد في الفترة التي كانت الجزائر في عز الحرب التي تخوضها من أجل الاستقلال ولا حديث آنذاك إلا عن المقاومة والمستعمر الفرنسي ، ورغم تلك الطّروف ترعرع مدلّلا كثيرا - فشقيقته "مليكة" لم تولد إلا بعد الاستقلال

بسنة- وسط عائلة متواضعة في غياب أبيه الذي هاجر إلى فرنسا من أجل العمل ، فكانت أمّه من تقوم بدور الأب والأم في نفس الوقت.

فكان في صغره لا يحبّ الدّراسة ، وكثيرا ما يشعر بالضجر والملل بسبب التواجد الدائم في المدرسة الذي يفقده حريته المطلقة ، وفي ذات الوقت كان يحب كثيرا الروايات التاريخية عن ملوك الأمازيغ ، الشّيء الذي أدّى إلى ولادة وعيه بالهوية الأمازيغية ، بل وهوية جيل كامل ، فقد رفض أن يدرّس باللغة العربية فهو يقول دوما بأنه لم يكن لديه إحساس بأن لغته هي اللغة العربية ، وعندما حاولوا فرضها رفض ذلك بصرامة فقال: "نشأت وترعرعت في أعالي جبال القبائل والأمازيغية هي لغتي اليومية ، أما الفرنسية فقد أتعامل معها كأداة عمل فقط" فكان مصرا على مقاطعة حصص اللغة العربية كمقاومة وجزء من حرّيته النفسيّة.⁶

وكان القرار الذي أصدره الرّئيس الراحل "هوارى بومدين" عام 1968م والذي نصّ على تعريب التّعليم بمثابة هزة ، ولدت فيه رفضا لكل ما هو عربي ينافس التّاريخ والوعي بالهوية الأمازيغية ، فكان رافضا ومعارضاً لسياسة التعريب التي انتهجها النّظام آنذاك واعتبرها تهدف إلى محو الإرث التّاريخي الأمازيغي ، إذ يقول "معطوب" في هذا الصدد: "الأمازيغية هي لغتي الأم تعلّمت بها الكلمات الأولى وألّفت بها نصوصي الغنائية لكنّها غير معترف بها في الجزائر ولا تدرّس ، وكلّما نطقت بها تصوّرت نفسي وكأني أقاوم".⁷

فمعطوب الوناس كان مولعا بالغناء منذ صغره ومارسه في المناسبات بمختلف القرى منذ كان في الخامسة عشرة من عمره ، ومنذ بداياته الأولى في كتابة الشّعر كان شديد التّأثر بشيوخ منطقة القبائل أمثال سليمان عازم الذي نفى إلى فرنسا والشّيخ الحسناوي ، فحمل منهم مشعل المطالبة بالهوية الأمازيغية بحماس كبير.

وفي 26 أفريل 1974م اعتقلته قوات الدرك الوطني في مدينة "يسر" لتحقيق معه في تهمة الضّرب العمدي وجرح أحد الأشخاص وحمل سلاح أبيض ، وقُدّم لمحكمة برج منايل في 04 يوليو 1982م فحكمت عليه بوضعه رهن الحبس الاحتياطي.

وفي سنة 1975م التحق بالخدمة العسكرية بوهران ، وتزامن ذلك مع انفجار قضية "أمغالا" إثر نزاع بين الجزائر والمغرب حول الصحراء الغربية ، وبعد سنتين من التجنيد أدرك أنّه لا هدف للجيش سوى تنمية مشاعر الخوف عند الشبان إزاء النّظام والسلطة ، خاصّة وأنه تعرّض إلى مختلف الإهانات أثناء خدمته العسكرية باعتباره ابن المناطق الجبلية ، ومع ذلك أصبح أكثر ثوريّة وتعصّبا ممّا مضى ، وبعد أدائه للخدمة الوطنيّة تعلّم مهنة الميكانيك ونجح

فيها واشتغل كذلك طبّاخا في المدرسة الابتدائية "آيت دوالا" بتيزي وزو ، ولكنه مع الإنذار الخامس طُرد بسبب إهماله للعمل وانشغاله بكتابة الشعر⁸.

وفي سنة 1978م سافر إلى فرنسا للالتقاء بمشاهير الفنانين الذين كانوا يعيشون هناك لتوفير إمكانيات التسجيل ، أين نشط سهرة فنية بمشاركة عدد من الفنانين الكبار أمثال إيمازيغن إيمولا ، إيدير ومليكة دومران فكانت تلك الحفلة بوابة دخوله عالم الفن بقوة.

وفي عام 1980م "انطلقت حركة المطالبة بالحقوق الأمازيغية وبدأت تفرض نفسها مما دفع بالحركة الثقافية الأمازيغية لأن تحتل الواجهة ، كما قال في كتابه "التمرد" : هاهي المطالب التي أتعاطف معها تتوقّر على إطار تعبّر عن نفسها سياسيا"⁹ ، ومن باريس تابع معطوب أحداث الربيع الأمازيغي الذي انتظره طويلاً فقال: "كنت مهزّأً بين رغبتني الجامعة في أن أكون بين ظهران أبناء منطقتي وبين التزامي الفني ، غنيت أمام الجمهور وحرصت على ارتداء بدلة عسكرية لترمز إلى كوننا نخوض فعلاً معركة"¹⁰ ، وكان سبيله لدعم الانتفاضة أغنيته "حزن الواد عيسي-Yehzen El Oued Aïssi" التي ذاع صيتها وخلّدت ذكرى الضحايا ، ومنذ ذلك الحين يعتبر معطوب من أبرز الناشطين في الحركة الثقافية الأمازيغية التي نشأت عقب أحداث الربيع الأمازيغي سنة 1980م ، وكانت أفكاره حول الديمقراطية والأمازيغية ، مما أدّى إلى ازدياد سخط النّظام الجزائري عليه وأصبح محل أنظاره.

وكانت سنة 1985م عام شؤم على معطوب الناس ، ففيها دخل سجن "سانطي" بباريس بسبب خلاف نشب بينه وبين منتج دار ديسكو الليزر نتيجة تأخره في تسديد الديون ، وفي ذات السنة أيضا أطلقت السلطة إشاعة تقول أنّ معطوب الناس يعمل لصالح السلطة ، فقامت بحملة من الاعتقالات في أوساط المعارضين إلّا هو الذي لم تضايقه السلطة لمدة ثلاث سنوات حتى ظنّ الجميع أنّ تلك الإشاعة حقيقة ، وهو الأمر الذي أدخله في محنة كبيرة فقد من خلالها الكثير من جمهوره ومحبيه ، ولكن الحقيقة انكشفت بعدما أصيب بخمس رصاصات في 29 أكتوبر 1988م على يدي عسكري بتهمة عدم احترام تعليمات الأمن خلال عبوره حاجز تابع لفرقة الدرك في قرية عين الحمام ، وفي ذات العام قبض عليه أيضا مع صديقين لاشتباههم في تورّطهم بإصدار منشورات سرّية تحريضية تدعو للثورة¹¹.

وفي عام 1991م نجح معطوب الناس في حشد عدد كبير من الشّباب للتظاهر قرب فرقة الدرك الوطني في عين الحمام لتأييد مطلبه بالحصول على ملف التحقيق المتعلّق بالجروح التي أصيب بها عام 1988م.

وفي عام 1994م تحسّل على جائزة تحت عنوان جائزة "الذاكرة" بالسوريون نظير قدرته على تشخيص الوضعيّة التي عاشتها الجزائر خلال العشريّة السّوداء ، وحينها ختم تلك المناسبة ببعض الكلمات يقول فيها: "أنا أمازيغي شقيق اليهودي الذي عاش الإبادة الرهيبة وأخا للكرديّ الذي يقيم تحت التّيران المتعدّدة للديكتاتوريات وأخا للإفريقي المقتلع من جذوره ، تجمع بيننا ذاكرة تضحيّاتنا...، وإلى كل النّساء المكافحات في مناطق العالم أدعوكن اليوم إلى نسج فيما بينكن خيوط التّضامن"¹² ، وفي نهاية الحفلة غنّى أغنية ألّفها أياما فقط بعد الإفراج عنه بعنوان: "اليوم أنا موجود - Assa-gi alliγ"¹³.

وفي 26 سبتمبر من عام 1994م وقبل منتصف النهار خلال وجوده في الطاحونة القديمة بالقرب من منطقة "تافوفت" تم اختطاف معطوب الناس من طرف تسعة (09) أشخاص بعدما جرّده من سلاحه الشّخصي ، وهم ينتمون إلى الجماعة الإسلامية المسلحة واستمر خطفه مدة 15 يوما ، ليتم إطلاق سراحه يوم 10 أكتوبر بعدما طالب شباب منطقة القبائل من الجماعة الإسلاميّة المسلّحة إطلاق سراحه أو إعلان الحرب ضدها.

وفي عام 1995م نشر الناس كتابه بعنوان "المتمرد" والذي وصلت مبيعاته في ذلك الوقت إلى 12 ألف نسخة ،¹⁴ الذي كتب في بدايته يقول: "لو لم يكن القبائليّون متفقون مع ما أدافع عنه ، والقيم التي عبّر عنها ما تعبّوا تلك التّعبئة المشهودة لمجرّد سماعهم باختطافي. أخرجوني من الجحيم ومعركتنا واحدة".¹⁵

سجل معطوب الناس أواخر ماي 1998م أسطوانة تضم إحدى عشر أغنية من بينها "رسالة إلى حكام الجزائر - Tabrat i lhekham nlezzayer" غناها بشكل شعبي ، كما احتوت قصيدة بلحن النشيد الوطني الجزائري "قسما" وبعبارات تحمل رسالة واضحة إلى السلطة الجزائرية ، وطلب حينها أن تصدر الأسطوانة في 05 جويلية المصادف لعيد الاستقلال والتّاريخ الذي بدأت فيه عمليّة التعريب في الجزائر ، كرد فعل منه تجاه عملية التّعريب وداعيا إلى ضرورة تحرير الجزائر من يد الخونة.

وفي يوم 25 جوان 1998م وفي حدود الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر قُتل معطوب الناس في كمين نُصب له على الطريق الولائيّة رقم (100) الرابط بين منطقة بني دوالا ومدينة تيزي وزو ، بعد أن استقرت في جسده (78) رصاصة وكان حينها على متن سيارته مع زوجته نادية ، لتشير أيدي الاتّهام حينها للجبهة الإسلاميّة للإنقاذ ، لكن معظم الجزائريّين يدركون بأنّ السّلطة هي المسؤولّة عن اغتياله ، خاصّة وأنّ التّحقيقات في قضيّة وفاته لا تزال

قائمة إلى يومنا هذا ، فرغم إصرار أمه على تحديد هويّة القتلة وفتحها لملف اغتيال ابنها من حين لآخر إلا أنها توفيت في 05 نوفمبر 2020م دون أن تعرف الحقيقة.

فقد رحل بعد أن أفلت من الموت عشرات المرات وبعد معاناته مع العمليات الجراحية (17) التي خضع لها ، ولكن رحل قبل صدور الأسطوانة الأخيرة التي تأخرت عن التاريخ الذي حدّد لها ، حاملة غلاف صمّمه الرسام الكاريكاتوري الجزائري "علي ديلام" الذي صوّر العلم الجزائري ملطّخاً بالدماء ومعطوب ينظر إلى البعيد ويحيط به ممثلون عن السلطة.

وتحول معطوب الوناس إلى أيقونة أمازيغية ، كما قال الكاتب الأمازيغي نايت عبد الرزاق بأنّه "إرنستو تشي جيفارا" الأمازيغي ، فقد ناضل من أجل قضية مشروعة تستمد مشروعيتها من حقائق التاريخ والجغرافيا واللغة والإنسان ، فكانت رصاصات الغدر في أكتوبر 1988م شاهدة على تمرّده اللامعقول والقمع العسكري ، فكانت الفاتورة التي دفعها معطوب غالية جرّاء إيمانه الراسخ بالقضية الأمازيغية ، وهي مسألة حياة أو موت بالنسبة له ، ومن مقتولته الشهيرة: "أفضل الموت واقفا على قدمي ومدافعا عن هويتي على الموت طريح الفراش".¹⁶

أما عن الحياة العاطفية للفنان معطوب الوناس فكانت البداية مع "جميلة مولة" التي تعرف عليها في قريته "ناوريرث موسى" أحبّها بعمق وتزوّجها لكن شاءت الأقدار أن يتعرّض إلى حادث إطلاق النار سنة 1980م ممّا تطلّب منه إجراء العديد من العمليات الجراحية أدّت إلى إصابته بالعقم ، ومنذ ذلك الحين أصبح يفكر في الطلاق لأن زوجته جميلة تحب الأولاد وهو لا يستطيع تلبية رغبتها ، فقد تطلقا في 25 سبتمبر 1994م وكان الفراق نهاية قصتهما.

وفي أكتوبر 1988م تعرّض معطوب الوناس للاعتداء مرّة أخرى ، وكان سببا في ظهور علاقة غرامية جديدة مع فتاة اسمها "سعدية" كانت تعمل كمضيفة طيران ، تزوّجها لكن العلاقة لم تدم طويلا وأضحت نهايتها الفراق حينما أطلق عليها أغنية اسمها "المحنة".

وفي عام 1997م خرج رفقة المئات من الشباب في مظاهرة تأييدا للغة الأمازيغية أين التقى بـ "نادية" في جامعة تيزي وزو تعرف عليها لفترة قصيرة ثم تزوّجها ، وكانت آخر زواجه ليفاجئ جمهوره بأغنية "فعلت كما يحلو لك Yahwa-yam" التي غناها خصيصا لنادية متحدثا فيها عن قصّته معها¹⁷ وردّ فيها عن الذين كذّفوها.

4- الدلالات الرمزية للجمال في شعر معطوب الوناس:

للقوف على المعاني والدلالات التي جاءت فيها الجبال في قصائد الشاعر والمطرب الراحل معطوب الوئاس تم تحليل مضمون (224) قصيدة جاءت في (28) ألبوما أخرجت في (34) أسطوانة ألفها الشاعر من سنة 1978 إلى غاية سنة 1998 ، محاولين معرفة حجم ظهور الجبال في شعره ، وكيفية توظيفها في قصائده ، ثم المعاني التي منحها للجبال في شعره والدلالات التي تُشير إليها وكذا المواضيع التي جاءت فيها.

1-4- حجم ظهور الجبال في شعر معطوب الوئاس وكيفية توظيفها:

لمعطوب الوئاس (28) ألبوما سُجِّلَت في (34) أسطوانة - باعتبار ستة ألبومات سُجِّلَت في أسطوانتين- تحتوي على (224) قصيدة شعرية (أغنية) ، كما نُشير في هذا المقام إلى وجود عدّة قصائد (أغاني) أخرى سجلها في الأستوديو هات ولم تظهر في ألبوماته ، وهو ما يوضّحه هذا الجدول:

جدول رقم (01): يوضّح حجم ظهور الجبال في قصائد معطوب الوئاس				
الرقم	عنوان الألبوم	سنة الإصدار	عدد قصائده	عدد القصائد التي إستعمل فيها الجبال
01	Ay izem	1978	08	01
02	Deewessu	1978	06	00
03	Ruḥ ay aqcic	1979	10	02
04	Yekkes-as i zznad ucekkal	1979	06	02
05	A lhif Yuran	1979	07	03
06	Ay ahlili	1979	05	00
07	A ttwaliy	1980	08	00

01	07	19 80	Récital à l'Olympia 80(JSK)	08
00	06	19 80	Assa-agi lliḡ	09
03+02	04+ 04	19 81	Sleeb-itt ay abehri	10
00	06	19 81	Ay itiraten	11
02	08	19 82	Tirgin	12
02	09	19 83	Tamsalt n Sliman	13
00	06	19 84	A Tarwa n lḥif	14
00	08	19 85	Dda Hemmu	15
00	08	19 85	Lbabur	16
01	08	19 86	Les deux compères	17
01	07	19 86	Tamurt-iw	18
00	07	19 87	Tisirt n ndama	19
00	07	19 88	Lmut	20
00	08	19 88	Rrwaḡ Rrwaḡ	21
03	09	19 89	L'ironie du sort	22
00+02	+01 05	19 91	Regard sur l'histoire d'un pays damné	23

00+00	+04 06	19 93	Communion avec la patrie	24
00	09	19 94	Kenza	25
00+00	+07 07	19 96	Tiyri g gemma	26
00+00	+06 06	19 97	Au nom de tous les miens	27
01+01	+05 06	19 98	Tabrat i lhekham llheq-d zzher	28
27	224	11 سنة	28	المجموع

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على نتائج تحليل المضمون.

نلاحظ من خلال هذا الجدول أنه من بين (28) ألبوما لمعطوب الوثاس التي أنتجها خلال (11) سنة ، بداية من سنة 1978 إلى غاية 1988 سنة اغتياله ، نجد هناك (13) ألبوما تضمّنت قصائده الحديث عن الجبال موزّعة على (15) أسطوانة ، ليلغ المجموع الكلّي للقصائد التي تم ذكر الجبال فيها (27) قصيدة ، وهي ممثلة في الجدول الآتي:

جدول رقم (02): يوضّح عناوين القصائد التي تضمّنت الجبال فيها حسب سنة الإصدار				
لرقم	عنوان القصيدة	سنة الإصدار	عدد المرات	
01	Ifennanen	1978	01	الفنانين
02	Idewwer i wedrar	1979	01	قام بدورة حول الجبل
03	Amirouche et Ferhat	1979	04	عميروش وفرحات
04	Ay imesdurar	1979	01	يا أهل الجبال

03	1979	جرجرة تنادي للأوراس	Ğerğer yessawel i Luris	5
01	1979	تحياتي يا ابن الجبال	Azul a ammi-s idurar	6
01	1979	بين جبال الأوراس	Gar idurar n Luris	7
01	1979	يا جبال جرجرة	Ay idurar n Ğerğer	8
01	1980	شبيبة القبائل	JSK	9
01	1981	ننكسر ولا ننحني	Anerrez wala Aneknu	0
01	1981	يا جبل أيت إيراثن	Ay adrar n At Yiraten	1
02	1981	حزن الواد عيسي	Yehzen Lwad eisi	2
01	1981	الكارثة التي وقعت	Lwexda Işaren	3
03	1981	الرئيس	Berzidan	4
01	1982	أبكي يا قلب	Ru ay ul	5
00	1982	نداء الجبال	Tiȳri n Idurar	6
04	1983	الباز صخرة لغريب	Afalku bezru leyrib	7
01	1983	قضية سليمان (عزام)	Tamsalt n Sliman	8
02	1986	إلى إخوتي	A mes frères	9
01	1986	الجندي	Aæsekri	0

03	1989	حياتي	Læmer-iw	1
01	1989	الأمل	Amenni	2
02	1989	الصفحة	Ssu-yas	3
02	1991	نظرة على تاريخ بلد ملعون	Regard sur l'histoire d'un pays damné	4
01	1991	الأخوة	Tadukli	5
02	1998	رسالة إلى الحكّام	Tabrat i lhekam	6
01	1998	وصل الضجيج (الموت)	Iluḥq-d Zzhir	7
43	11 سنة	/	/	/

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على نتائج تحليل المضمون.

كما يبيّن هذا الجدول أنه من بين (27) قصيدة تضمّنت الحديث عن الجبال نجد قصيدة واحدة ظهرت الجبال في عنوانها فقط ولم تظهر في متنها ، وهي قصيدة " نداء الجبال " ، أمّا باقي القصائد وهي (26) قصيدة احتوت الحديث عن الجبال في متنها ، ومنها (09) قصائد تحتوى عناوينها على الجبال أو أسماء للجبال.

* وأنّه من بين (09) قصائد التي تحتوى عناوينها على الجبال نجد قصيدتين عن الجبال عامّة ، وقصيدتين عن سكّان الجبال و(05) قصائد عن أسماء الجبال وهي: جبال جرجرة مرّتين وجبال الأوراس مرّتين وكل من جبل أيت إيراثن وجبل صخرة لغريب مرّة واحدة ، وهناك قصيدة واحدة ظهرت فيها جبال جرجرة وجبال الأوراس معا بعنوان "جرجرة تنادي للأوراس".

* وأنه تم ذكر الجبال (43) مرة في (26) قصيدة ، بحيث ذُكرت الجبال مرة واحدة في (16) قصيدة ، وذكرت مرتين في (05) قصائد و(03) مرات في (03) قصائد وذكُرت (04) مرّات في قصيدتين.

* وأنه من بين (43) مرة التي ذُكرت فيها الجبال في قصائد معطوب الوئاس نجد (35) مرة ذُكرت الجبال وسط القصيدة و(06) مرّات في استخبار التّقديم ومرّتين في استخبار التّهاية.

* وأنه من بين (43) مرة التي ذُكرت الجبال في قصائد معطوب الوئاس نجد (13) مرّة في بداية القصيدة و (24) مرّة في الوسط و(06) مرّات في نهاية القصيدة ؛ ومن بين (13) مرّة الذي ذُكرت الجبال في بداية القصيدة نجد منها (03) مرّات في المقطع المُكرّر للقصيدة.

4-2- المعاني والدلالات التي جاءت فيها الجبال في شعر معطوب الوئاس:

من خلال تتبّع السّياق الذي جاءت فيه كل قصيدة من حيث تاريخ صدورها والموضوع الذي تناولته والرّسالة الموجهة منها وأساسا المعاني والدلالات التي استعملت من أجله كلمة الجبل أو الجبال يتبيّن لنا أنّه:

* من بين (43) مرّة التي ذُكرت فيها الجبال في القصائد الـ (26) لمعطوب الوئاس نجد (21) مرّة ذُكرت الجبال بصفة عامّة و(05) مرّات تحدّث عن سكان الجبال على غرار قوله: ... إلى الجبال اتّجهت كل الأنظار نحو ذلك الجديد وتركنا الأعداء يصطادون الذين يرفضون القيود ... ؛ وفي قوله: ... أرسلوا جيوشهم ودججهم بالسلاح ووجههم نحو أهل الجبال ليبيدوهم ... ؛ وفي قوله: ... ابن الجبل لن يحكم و لو كان متعلّما مثقفا ... ؛ وفي قوله: ... أنّجه الفقر نحو الجبال واليتامى يعانون ... ؛ وفي قوله أيضا: ... يا أهل الجبال لا تنسوا ... فالهناء ستزوركم محمّلة بالتّيران ...

وظهرت (17) مرّة كأسماء للجبال ، وهي جبال جرجرة (09) مرّات وجبال الأوراس وجبل أكفادو وجبل صخرة لغريب مرّتين ، وكل من جبل آيت إيراثن وجبل الواد عيسي مرة واحدة.

* ومن بين (21) مرّة التي ذُكرت الجبال بصفة عامّة كان المقصود منها في (11) مرّة هي الهوية واللغة الأمازيغية ، ويظهر ذلك على سبيل المثال في قوله: ... وهب لنا الزّمان الحقيقة و بالأمازيغية فرحنا وعلى الجبال سطع البدر ... ؛ وفي قوله: ... سطع النّور على الجبال تلك

الجمال التي مسّها الخراب ... ؛ وفي قوله: ... يا حياتي يا حياتي الجبال هي حياتي ... يا حياتي
يا حياتي الأمازيغ هم حياتي ...

وثلاث مرات كان المقصود بها هو سگان الجبال ، ويظهر ذلك في قوله: ... اتجه الفقر نحو
الجبال واليتامي يعانون ... ؛ وفي قوله: ... تحياتي لك يا ابن الجبال ... ؛ وفي قوله: ... يا أهل
الجبال لا تنسوا وتكلموا الهناء ستزوركم محملة بالنيران ...

ومرتين كان المقصود بالجبال هو قرى منطقة القبائل ، ويظهر ذلك على سبيل المثال في
قوله: ... إلى الجبال اتجهت الأنظار نحو كل جديد ... ؛ وفي قوله: ... الجبال حزينه اليوم
وذاب ثلجها ...

ومرة واحدة كان المقصود بالجبال في شعره هو النساء ويظهر ذلك في قوله: ... النساء
جبال من الصبر بدان بالزغاريد رغم امتلاء جفونهن بالدموع ... ؛ والأربع مرّات المتبقية يقصد
بها الجبال لذاتها.

* ومن بين (09) مرّات التي ذكرت فيها جبال جرجرة نجد منها ثلاث مرّات المقصود منها
هو الهوية واللغة الأمازيغية ويظهر ذلك في قوله: ... ذابت الثلوج بجبال جرجرة وخرجت
الرؤية ... ؛ وقوله: ... جبال جرجرة ما زالت تتذكر يوم قالوا لن نترك أيّ أمازيغي حيا ...
وقوله: ... جرجرة فرحت بإطلاق سراحهم لأنها بحاجة إليهم ...

ومرتين كان المقصود منها هو قرى منطقة القبائل كقوله: ... يا جبال جرجرة قلبي اشتاق
لرؤيتكم ... ؛ وفي قوله: ... نتوجه إلى الذي ربّته وتحبه قرى جبال جرجرة لونيس آيت منقلات
قصائده المميّزة تُشفي المرضى ... ، ومرة واحدة كان المقصود منها سگان الجبال في قوله: ...
جبال جرجرة تحتقرني إن نسيت اليوم الذي اعتدوا عليّ ...

وثلاث مرّات المتبقية يقصد جبال جرجرة لذاتها ويظهر ذلك في قوله: ... جرجرة تنادي
للأوراس عن ما حدث إن يتذكره ... ؛ وقوله: ... كنت أخاف من غدر أخي واليوم اطمأن قلبي
بوقوفه بجاني عندما سمع باعتدائهم علي وسط جبال جرجرة ... ؛ وفي قوله: ... إلى إخواني
(الجزائريين) دون استثناء من مرتفعات جرجرة إلى أعرق نقطة في الصحراء ... فلنثبت
شجاعتنا فلنثبت محبتنا فلنحافظ على الضمير ونسدّد الصّربة القاضية إلى مدّعي المعارضة ...

3-4- الموضوعات التي جاءت فيها الجبال في شعر معطوب الوثّاس:

فبعد تحديد المعاني والدلالات التي جاءت فيه الجبال في قصائد معطوب الوناس سنحاول في هذا العنصر ربطها بالمواضيع التي تناولها الشاعر في قصائده وتوضيح بعض مواقفه، خاصة وأنّ الشاعر معروف عنه بقريحته وتناوله لعدد وافر من الموضوعات التي تعدّ رصداً مفصلاً لكل الانشغالات والممارسات الحياتية واليومية للأفراد في المجتمع الجزائري.

4-3-1- شعر الهوية: إنّ المتصفح للقصائد الشعرية لمعطوب الوناس يلاحظ أن موضوع الهوية الأمازيغية شغل حيزاً واسعاً في طيات القصائد المبدعة من شعره، فكان يحمل القضية الأمازيغية بكلّ أبعادها فلا تكاد تخلو كل قصائده مهما كان موضوعها من الإشارة والدفاع عن الهوية الأمازيغية، فعارض من أجلها السلطة والمعارضة في نفس الوقت، من بينها التيار الإسلامي خاصة حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ "الفيّس"، الأمر الذي سبّب له خصومات واسعة، اعتقد أنّه دفع ثمن مواقفه الحادة والمتشجّة، مستعملاً الجبل كرمز للغة الأمازيغية بقوله في قصيدته "حياتي - Lsemer-iw": "... دفعت دمي ثمناً للجبل لكي يبقى أثري يصعب عليهم محوه ...

فكثيرة هي تلك القصائد التي ألفها معطوب حول الهوية والثقافة الأمازيغية في مواجهة سياسات طمس هذه الهوية فكانت اللغة الأمازيغية بالنسبة له أكثر من أداة تواصل، إذ يقول: "الأمازيغية هي لغة الأم بالنسبة لنا، ولكن كلّما نطقت بها أتصوّر نفسي كما لو أنني أقاوم"، ولهذا الغرض استخدم معطوب الجبال كثيراً في أشعاره تعبيراً عن اللغة والهوية الأمازيغية، فقد ظهرت في حوالي (15) موضع، فعلى سبيل المثال نجد في قصيدة "الرئيس" يقول: "... الضباب الذي غطّى الجبال ... ؛ وفي قصيدته "ابكي يا قلب" حين قال: "... جبال جرجرة ما زالت تتذكّر يوم قالوا لن نترك أيّ أمازيغي حياً ... ؛ وفي قصيدة "ننكسر ولا ننحني" قال: "... وهب لنا الزمان الحقيقة وبالأمازيغية فرحنا وعلى الجبال سطع البدر ... كلّها تشير إلى اللغة والهوية الأمازيغية.

وما زاد من ولعه بالهوية الأمازيغية هي سياسة الإقصاء التي كانت تُمارس ضدها، ولعلّ أحداث الربيع الأمازيغي في 20 أفريل 1980 شاهدة على ذلك، حينها أبدع أحد أجمل قصائده الخالدة والمخلّدة لما حدث تحت عنوان "حزن الواد عيسي" مستخدماً فيها الجبال على مرتين الأولى للإشارة إلى قرى منطقة القبائل في قوله: .. أرسلوا جيوشهم ودجّجوه

بالسلاح ووجهوهم نحو أهل الجبال ليبدوهم ... والثانية استعمل الجبل كرمز للهوية واللغة الأمازيغية ، حين قال : ... جرجرة فرحت بإطلاق سراحهم لأنها بحاجة إليهم ...

4-3-2- الشعر السياسي: كانت الحالة التي تعيشها منطقة القبائل همزة وصل ربطت الشاعر معطوب الوناس واهتمامه بالبيئة التي عاش فيها ، فقد منحته تلك البيئة النظرة والتوغل للقضايا السياسية المتماشية مع معطيات التحولات التي لامست المجتمع الجزائري عموما والمجتمع الأمازيغي خصوصا ، وقد ظهرت بوادر اهتمامه بالقضايا السياسية منذ البدايات الأولى لتحريره الشعر وتنأى اهتمامه أكثر بهذه المواضيع مع نمو وعيه السياسي جرأ العديد من المسائل والقضايا الوطنية متأثرا في ذلك بمشايخه الشيخ الحسناوي وسليمان عزام.

فنتيجة لما مر به في حياته وكذا ما مرت به البلاد آنذاك من أحداث متعاقبة مرتبطة أساسا بنظام الحكم والسلطة السياسية كل تلك الظروف ولدت في نفس معطوب الوناس عدة تساؤلات ، حاول الإجابة عنها من خلال قصائده ، وتتعلق أساسا بطبيعة النظام الحاكم في الجزائر وسبب إقالة بعض المسؤولين السياسيين من مناصبهم أو نفيهم واغتيال البعض الآخر في المراحل الأولى للاستقلال ، وفي السبعينيات من القرن الماضي يتساءل عن سبب تطبيق سياسة التهميش والإقصاء تجاه الأمازيغ واللغة الأمازيغية ، وبعدها حاول فهم التعددية السياسية في الجزائر وما آلت إليه من أحداث العشرية السوداء ، فكل تلك الأحداث كانت بمثابة مواضيع خصة لتأليف قصائد شعرية.

وكثيرا ما دمج وربط القضية الأمازيغية بما هو سياسي ، مستخدما الجبال في قصائده السياسية مانحا لها رمزا ، كشاهد على الحقائق كقوله في قصيدة "الأخوة" : ... يا جبل باسمك نطقنا أريد منك الحقيقة (الصواب) التي شوّهوها ودلّني عن السبيل الذي أسلكه ... ، وعن سنوات المأساة الوطنية التي كان معطوب الوناس مناهضا للجماعات المسلحة ولعب دورا كقائد لتعبئة الشباب ضد الإرهاب ، إذ يقول في قصيدة وصل الضجيج (الموت) : وصل الضجيج إلى جبالنا ولم تأخذنا الحيرة على إخراجهم ... ويقول أيضا في قصيدة "يا ابن الجبال" : ... يا أهل الجبال لا تنسوا وتنادوا للهناء ستزوركم محملة بالتيار ... ، ولكنه في نفس الوقت كان معارضا للسلطة ويدعو الشباب للعصيان عن أداء الخدمة الوطنية في قصيدة "الجندي" إذ يقول : ... جهزت نفسي ومزّقت أوراقي (الاستدعاء للخدمة الوطنية) من

المستحيل أن ألتحق بهم ... في الجبال والهضاب في القرى والمدن أزرع ندائي في القلوب ... حذاري ... لا تلتحقوا بالخدمة الوطنية فهم يصنعون الأعداء ونحن نحاربهم ...
فحتى المعارضة لم تسلم من انتقاداته السياسية ، فمثلا في إحدى قصائده بعنوان "إخواني ... " يقول: ... إخواني (الجزائريين) دون استثناء من مرتفعات جرجرة إلى أعماق نقطة في الصحراء ... فلنثبت شجاعتنا فلنثبت محبتنا فلنحافظ على الضمير ونسدّد الصّربة القاضية إلى مدّعي المعارضة إلى متخاذلي الأمة الذين يستمتعون في صالونات الغرب ويبيعوننا الأوهام ... إلى هؤلاء الذين لا يتفقون حتى بينهم ويزرعون الجبن والعار في ربوع هذه الأرض الطيبة التي طالما تألمت من أجلها الأمهات ...

وكتعبير عن تمرده على كل الفاعلين في المشهد السياسي الجزائري قام بترجمة النشيد الوطني "قسما" رغم قداسه إلى اللغة الأمازيغية مستخدما كلمات أخرى أكثر توافقا مع الوضعية الراهنة للجزائر ، ويعتقد الكثير أن هذه القصيدة هي سبب اغتياله.
فمن الناحية السياسية حارب معطوب الناس أربع جهات كاملة اعتبرها أعداء للجزائر ، فعارض نظام الجنرالات والديكتاتورية الذين استولوا على الحكم ، كما عارض التطرف الإسلامي الوهابي ، الذي تبنته الجبهة الإسلامية للإنقاذ "الفييس" وعارض أيضا القومية العربية البعثية التي تعادي التنوع الثقافي والاثنى في الجزائر ، ومحاولة تعريب كل شيء باسم الإسلام ، كما طالت معارضته بعض الأمازيغ الخونة الذين باعوا هويتهم وقضيتهم مقابل حصولهم على امتيازات ومناصب في نظام الحكم.

3-3-4- الشعر الثوري: فرغم صغر معطوب الناس إبان الثورة التحريرية إلا أن بعض صورها بقيت راسخة في ذهنه كما ذكرها في كتابه "المتمرّد" ولكنه عايش بعد الاستقلال معاناة أرامل الشهداء وأبنائهم ، وفي نفس الوقت كان يراقب ما آلت إليه وصية الشهداء فأبدع في نقل الصور الحية عن الثورة التحريرية مستخدما الجبال فيها للدلالة رمزية التّضال والشّهامة والشّموخ ، وجعل منها الشّاهد الوحيد الذي يمتلك الحقيقة حول ما حدث إبان الثورة التحريرية ، فيقول في قصيدة "جرجرة تنادي للأوراس": جرجرة تنادي للأوراس عن ما حدث إن يتذكّره ... ، ويقول في قصيدة "نظرة على تاريخ بلد": يا جبل أعتقد أنّك ستكون شاهدا على ما سال من الدماء ...

كما نقل بعض الأحداث التاريخية مثل ما جاء في قصيدة "عميروش وفرحات": "... أين ذهبوا الأسود عندما زاروا في الجبال و عميروش أحدهم الذي سارع لحمل السلاح ... وقوله في قصيدة "بين جبال الأوراس": "... بين جبال الأوراس التي لم ينقشع عنها الظلام ... ولكن ما حَزَّ في نفس معطوب كثيرا ، هو ما آلت إليه الأمور بعد الاستقلال ويلخّص لنا موقفه مستعملا دوما الجبال كرمز للكفاح في قصيدة "يا جبال أيت إيراثن" إذ يقول: ... يا جبال أيت إيراثن من مشلي إلى الأمام ومن جبال أكفادوا إلى الميدان الكبير ملتقى المجاهدين ... الأرض من حرّرها واللّوم على من وقع ... ، ويضيف في أحد روائعه الشعرية أيضا حوار دار بين أم وابنها الشهيد ، تحكي له ما عانته من مرارة بعد الاستقلال حتى تمثى الشهيد ألا يرى الجزائر مستقلة ، وفيها استخدم الجبل أربع مرّات في القصيدة بعنوان "الباز سخرة لغريب": "... إلى جبال أيت عيسى أسرع من خطواتي ...

4-3-4- شعر الغربية: أولى معطوب الونّاس أهمية بالغة لهذا النوع من الأشعار الذي شغل حيّزا واسعا في طيّات القصيدة الأمازيغية ، لما لها من أبعاد حيّاتية تماشى وطبيعة الطرّف المعيشية القاسية التي مسّت شرائح عريضة من المجتمع ، فموضوع الغربية والحنين إلى الوطن من أكثر المواضيع التي شغلت حياة المهاجرين الجزائريين المتواجدين في فرنسا خصوصا ، فمنهم من نال مقابل ذلك الهدف الذي ترك من أجله أهله وبلده ، ولكن هناك من أغرت به أهواء الزمان ففرق في ملذات الحياة ففسي الأهل والخلّان وانشغل بعالم متغيّر فحتى معطوب نفسه عاش هذه الظّاهرة.

فالعيش كمغترب في أرض أجنبية وإحساسه المؤلم لانقطاع الحبل السري الذي يربطه بمسقط رأسه جعله يقول في قصيدة "يا جبال جرجرة": "... يا جبال جرجرة قلبي إشتاق لرؤيتكم ... ، كما أعطى معطوب أهمية بالغة لقضية سليمان عزام الذي نفي من البلاد ومات في الغربية فلا يكاد يذكر الغربية في شعره إلا وكان سليمان رديفا لها ، ففي قصيدة "قضية سليمان (عزام)" يشيد بما قدّمه سليمان للقضية الأمازيغية وناقما على الكيفية التي تعاملت بها السلطات الجزائرية مع وفاة الفتان سليمان عزام خاصّة وسائل الإعلام التي تجاهلته ولم تهتم بأمر وفاته.

4-3-5- الشعر النسائي: اهتم أيضا بهذا الموضوع الذي يبرز وضعيّة المرأة القبائلية وما لها من أدوار ووظائف تعكس بشكل أو بآخر مكانتها الاجتماعية والمهام الكثيرة التي أسندت

إليها كأم في تربية أبنائها وكزوجة لتسيير شؤون البيت ومستلزماته ، كذلك في الأعمال الفلاحية بجانب الرجل ، إذا كان لها تأثير عميق على بنية المجتمع الأمازيغي خصوصا والجزائري عموما ، لذا كان ملف المرأة من الأولويات التي استقطبت اهتمامات معطوب الوئاس خاصة أرامل الشهداء وأمهاتهم وما عانينه بعد الاستقلال ، فنجده يلخص لنا معاناة المرأة القبائلية في تشبيهه بليغ في قوله في قصيدة "الكارثة التي وقعت": "... النساء جبال من الصبر بدأن بالزغاريد رغم امتلاء جفونهن بالدموع ...

كما نقل لنا معاناة أمهات الشهداء المفقودين إبان الثورة والتي طال انتظارهن أو على الأقل انتظار أخبار أبنائهن ليقطعن الشك باليقين إما العودة إلى البيت أو التأكد من استشهاده ، ففي قصيدة "الباز صخرة لغريب" الذي يصور لنا حوار بين أم وابنها الشهيد تحكي له ما عانته من مرارة الانتظار إبان الثورة وما عانته من تهيش بعد الاستقلال ، وفيها استخدم الجبل أربع مرات وفيها يقول: يا صخرة لغريب حني علي وأذهبي عني همومي ووجهي الثور تجاه البيت ... يا الباز صخرة لغريب هل تقبل صداقتي هيا بنا نتجول ونجعل الجبال مسارنا فالموافقة (جبهة التحرير) معي لأزور أُمي ...

4-3-6- المواضيع الشعرية التي لم ترتبط بهم الجبال: فرغم تخصيص معطوب في قصائده

مجالا واسعا للشعر الاجتماعي والشعر العاطفي ، وبدرجة أقل للشعر الديني والشعر الجمالي الشعر الاقتصادي ، الشعر الإنساني ، الشعر العلمي والمعرفي ، إلا أنه لم يستخدم الجبال في قصائده التي تهتم بهذه المواضيع السالفة الذكر ، بل كان استخدامه للجبال منصبا فقط على مواضيع الهوية والسياسة والتاريخ ، وبدرجة أقل شعر الغربة والشعر النسائي ، كما تم توضيح ذلك في العناصر السالفة الذكر.

5- خاتمة:

يعدُّ كتاب "التمرد" لمعطوب الوئاس وثيقة تاريخية شاهدة على كل التحولات التي مرّت بها الجزائر المعاصرة بآلامها وأمالها ، طموحاتها ومفارقاتها ، فقد كتب هذا الكتاب ليقول أن التمرد عنده ضد الفكر الأحادي والتعصب الديني واللغوي ، فالشاعر لا وطن له إلا وطن الحقيقة والجمال ، حتى لو كانت الطريقة التي يستعملها حافلة بالغام الدم والإهانة ، فقد تكون الفاتورة غالية وثقيلة تصل إلى حد دفع النفس والجسد ... هكذا قال معطوب الوئاس

كلمته ومضى ، فقد استعرض فيها عالم طفولته وقريته وظروف الثورة الجزائرية ، وشخص فيه وضعية الجزائر المستقلة بل وتنبأ بمستقبلها.

ويبقى معطوب الوئاس شعلة تضيء الأجيال رغم رحيله فهو لا يزال "التمرد" محل دراسات وندوات وأبحاث تُعنى بإبراز التراث الشفوي الذي تركه لنسقي منه تجارب الحياة وغدر الزمن ودروس المحن والاستفادة منها ، إذ أن معطوب الوئاس الذي جرب الحياة بحلوها ومرها كان مرآة عاكسة للسعادة والشقاء والتجاح والفشل التي يُعنى بها كل فرد من أفراد المجتمع مهما كانت توجهاته.

أما عن كيفية استخدامه للجبال في قصائده فبعد تحليل مضمون (28) ألبوما سُجّلت في (34) أسطوانة- لأن هناك ستة ألبومات سُجّلت في أسطوانتين- واحتوت على (224) قصيدة شعرية (أغنية) تبين أن هناك (27) قصيدة ذُكرت الجبال فيها ومنها (09) قصائد تحتوي عناوينها على الجبال ، ليصل عدد المرات التي ذُكرت الجبال في كل القصائد إلى (43) مرة منها (21) مرة حول الجبال بصفة عامة و(05) مرات عن سكان الجبال وظهرت (17) مرة كأسماء للجبال.

ومن بين (21) مرة التي ذُكرت فيها الجبال بصفة عامة كان المقصود منها في (11) مرة الهوية واللغة الأمازيغية وثلاث مرات سكان الجبال ومرتين كان المقصود منها قرى منطقة القبائل وأربع مرات المتبقية يقصد بها الجبال لذاتها.

ومن بين (09) مرات التي ذُكرت فيها جبال جرجرة نجد ثلاث مرات المقصود منها الهوية واللغة الأمازيغية ، ومرتين قرى منطقة القبائل ومرة واحدة كان المقصود منها سكان الجبال وثلاث مرات المتبقية يقصد بها جبال جرجرة لذاتها ، كما ظهرت جبال الأوراس مرتين ترمز للثورة والكفاح المسلح.

أما عن المواضيع التي جاءت فيها الجبال في قصائد معطوب الوئاس فظهرت في كل من مواضيع الهوية والسياسة والتاريخ وبدرجة أقل في شعر الغربة والشعر النسائي ، في حين لم تظهر في شعره الاجتماعي ، العاطفي ، الديني ، الانساني ، الجمالي ، الاقتصادي والمعرفي.

6- مصادر البحث ومراجعته:

¹ - بوجمعة رضوان ، أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل تحليل أنثروبولوجي ، (أطروحة دكتوراه دولة) ، قسم علوم الإعلام والاتصال ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر ، 2007 ، ص 205.

- ² - بلعيد صالح ، ترجمة الشعر الأمازيغي نظما ، نماذج من إبداعات آيت منقلات ، منشورات مجلة الممارسات اللغوية ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر ، 2010 ، ص:ص: 18-19.
- ³ - جلاوي محمد ، تطور الشعر القبائلي وخصائصه بين التقليد والحداثة ، ج 2 ، الشعر الحديث ، المحافظة السامية للأمازيغية ، الجزائر ، 2010 ، ص:ص: 198-204.
- ⁴ - Hanotau Adolphe, **poésies populaires de la Kabyles du Djurdjura**, imprimerie impériale nationale, paris, 1867, p10.
- ⁵ - بوجمعة رضوان ، مرجع سابق ، ص 224.
- ⁶ - معطوب الوئاس ، **المتمرد** ، تر: زارو عبد الله ، دارالرفيق للمعرفة ، د.ط ، تيزي وزو ، الجزائر ، 1995 ، ص:ص: 13-11.
- ⁷ - Fitas Rachida, **MatoubLounes - Tafat N wuryu**, 1^{ère} partie, Nouveau 01, 7^{ème} éditions Mahdi, TiziOuzou, Algérie, 2000, p 40.
- ⁸ - معطوب الوئاس ، مرجع سابق ، ص 32.
- ⁹ - المرجع نفسه ، ص 48.
- ¹⁰ - المرجع نفسه ، ص 51.
- ¹¹ - المرجع نفسه ، ص:ص: 57-65.
- ¹² - المرجع نفسه ، ص:ص: 34-38.
- ¹³ - Fitas Rachida., **Op.cit**, p 259.
- ¹⁴ - معطوب الوئاس ، المرجع السابق ، ص:ص: 63-70.
- ¹⁵ - المرجع نفسه ، ص 57.
- ¹⁶ - المرجع نفسه ، ص:ص: 11-13.
- ¹⁷ - Massinissa Lounes, **Tiyri nugarawliw** « le rebelle a parlé après sa mort », Tizi ouzou, Algérie, 2009, p-p: 38- 40.